هل يعيش أدبنا حياتنا ؟

الآداب تستفتي

جواب الاستاذ صدقي اسماعيل (سوريا)

ان التساؤل عن علاقة ادبنا الحديث بحياتنا هوسابق لأوانه. قبل ذلك يجب ان نتساءل : هل لنـــا ادب جدير بالذكر في هذا العصر ؟ . والجواب هو : لا . فالأنتاج الادبي المعاصر في الوطن العربي ما يزال متعثراً ضعيفاً امام النماذج الحية للأدب العربي القديم وللآداب الغربية . وليس ذلك بسبب ضعف الحيـــاة العربية وتأخرها في هذه المرحلة ، كما يقال بين حين وآخر ، فحياة الشعب مهما تكن فقيرة حزينة ، تلبث ذات معنى انساني عميق ، وكثيراً مـــا يكون الالم والانكسار والقلق ، من اعنف صور الحيـــاة الانسانية واقواها ، واكثرها الهاماً للادب الخالد. بل السبب هو ان الذين يكتبون لا يؤمنون. لا يرون في الادب قضية جديرة بأن تأخذ من وجودهم كل شيء . فعرب القرن العشرين لم يعودوا يكتفون بالكلمة العذبة والفكرة الجيدة والحديث البارع عن بؤسهم — وقلما تتاح لهم هذه الاشياء في الانتاج الادبي المعاصر — بل انهم يتطلعون الى العبقرية الفذة التي تجسد ضميرهم ، وتكون صوتاً قوياً للثورة والالم وارادة الفرح ، الكامنة في نفوسهم . فالامر يتعلق « بأديب عربي » يحمل قضية العصر ، كما يفعل الشهداء ، ويجيـــد التعبير عنها بلسان قومه ويغمر بانفاسها كل ما تتناوله الحاسة الانسانية وتلتمس فيه نشوة الابداع الفني . فالادباء الممتازون يعلنون عن ضمير شعبهم في كل عبارة وكل صورة ، كما تعلن الحياة عن نفسها في كل شكل من اشكالها...

وما دام هؤلاء لم يظهروا بعد في حياتنا فان من المجاز ان نسمي ما يكتب « ادباً عربياً معاصراً » .

اذا تجاوزنا حدود هذه الحقيقة، ونظرنا نظرة نسبية إلى انتاج «ادبائنا» اليوم ، فاننا نراهم في مرحلة تدرب على الادب الجيد ، سيان في ذلك اولئك الذين يجيدون العبارة احياناً ، ما يزالون يروضون اللغة ملتمسين فيها الحياة، واولئك الذين يتوجهون إلى حياة الشعب لتصويرها وما يزالون في مرحلة « تعليق صحفي » على حوادثها لا اكثر ، كما يفعل الهواة .

اما مشكلة الادب من اجل الحياة او الحياة من اجل الصيغة الفنية ، فهي مشكلة زائفة . فليس الالتزام او عدمه ، الادب الصافي او سواه ، قضية في انتاجنا الادبي الحديث . القضية هي ان يظهر الاديب المبدع ، وليكن كما يريد . فالبذرة الصالحة قبل التربة والهواء . وما من اديب حق الا وهو صفحة مشرقة من الحياة ، فالعبقرية معصومة ابداً ، وكل سرها انها تستمد من نسغ الحياة ومن ضمير الشعب ونزعته إلى « الأجمل » ، جميع عنـــاصر وجودها .

اذا كان القلق والفقر يجمعان بين انتاج العرب المعاصر، وبين حياتهم ، فان في الحياة العربية ملامح يقظة تاريخية تفعمنا في كل صدر ، وتتنفس في كل شارع ، وتتلمس ابطالها وشعراءها وفنانيها ، واولئك الذين يتلمسون في روح الشعب وثقافته العريقة جذور تجربتهم الفنية هم وحدهم رواد ادب عربي خالد في حياة العرب الجديدة .

جواب الاستاذ محي الدين اسماعيل (العراق)

هناك عوامل ايجابية عديدة، ينبغي توافرها في الامم كي تستطيع الحفاظ عـــلى بقائها . واول هذه العوامل قدرة الامة على التجارب مع الحياة : الحياة بمعناها الاعم الاشمل ، وبظروفها العديدة المتطورة « مكاناً وزماناً». ومن هذا التجاوب الخلاق تنجم الفنون والآداب ، وغيرها من خصائص الحضارات . كذلك كانت الآداب العظيمة من اغاني الفجر والرعاة في سهوب اوراسيا الى ذروة الآداب الكلاسيكية الباقية . وما رأينا ادباً باقياً لم يستجب للحياة وينفعل لها : أعني لم يحيها . ومن هنا أعتراضنا ايضاً على وحدة الحضارات . يتعدد التجاوب بتعدد الامم . وبالتالي تتعدد الآداب والحضارات .

اما اذا افتقدت الامة هذا العامل الايجابي الفعال فقد تهاوت في وهدة الخسران ، أي خسرت رد فعل الاحياء ، وتبلدت امام التحدي تتلقاه من كل صوب . اعني بذلك نسيت ذاتها، ونسيت حتى سبيل الفرار ، وانسحبت دون ان تترك في متاهة التاريخ أثراً على صفحة الرمال .

والامة العربية اليوم موشكة ان تنسى ذاتها اذ لم تستطع بعد ان تخلق ادباً يعيش حياتها ليكون خصيصة واضحة من خصائص حضارتها الراهنة . الامة العربية تتلقى اليوم اكثر مما تعطي، ولو ان ادبها عاش حياتها الغنية لأخذت وأعطت ، وذلك ما لم تحققه حتى الآن .

جواب الاستاذ نهـــاد التكرلي (العراق)

الحياة هي احد المفاهيم المجردة التي لا تكتسب كياناً واقعياً محسوساً إلا اذا تجسدت في حيـــاة فرد او حياة جماعة وبالتالي اذا تحددت في زمان ومكان هذا الفرد او هذه الجماعة . ولا شك ان لحياتنا العربية الحاضرة مظاهر وخواص تتميز بها عن حياة الامم الباقية، فهل ان ادبنا يعبّر عن هذه الحياة ؟ وهل يعيش اديبنا خلال ادبه هذه الحياة بحيث اذا اطلع احد من الاجيال القادمة على هذا الادب استطاع ان يفهم ويتصور هـــذه الحياة بصورة قوية ؟ اني اشك في ذلك كثيراً ، ويكفي ان نلقي نظرة على الكتب الادبية الكثيرة التي تصدرها مطابع البلاد العربية لنرى مبلغ ابتعاد ادبنا وادبائنا عن حياتنا العربية الحاضرة ، وان كنت اجـــد من ناحية اخرى بان القصة العربية — وهي لا تزال طفلة تحبو — الصق بحياتنا من باقي الفنون الادبية الاخرى . وهنا تثار اسئلة كثيرة : فما هو المقصود بالحياة العربية ؟ وكيف يجب ان يعيش ادبنا هذه الحياة ؟ وهل من الضروري ان يعبر الادب عن حياة اهله ؟ اما جوابي عـــلى السؤال الاخير فهو قاطع لاني من المؤمنين بوجوب التزام الاديب ازاء حياتـــه وحياة الجماعة التي يعيش فيها، وهذا في رأيي اقوى واوسع معاني الالتزام، ومن ثم فان من الضروري ان يعبر الادب عن حياة الجماعة التي يظهر فيها ، واما جوابي على السؤالين الاولين فمن الواضح اني لا استطيع بحثه بصورة مفصلة في هذا الاستفتاء، ويكفي لكي اقرب فكرتي عن المشكلة الى القراء ان استشهد بأدب المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال الالماني لفرنسا . لقـــد عاش هذا الادب حياة فرنسا تحت الاحتلال والظروف العصيبة التي مرت بها في ذلك الحين على اقوى صورة ممكنة؛ ولست اشك في ان هذا الادب

سيبقى خالداً على مدى الايام . ونحن ، الا نمر في ظروفنا الحالية في بلادنا العربية بمثل تلك الظروف العصيبة ؟ اليست مواقفنا العربية الحاضرة كلها مواقف نهائية متطرفة ؟ الا يحس كل فرد منا بوجود قوى كثيرة ، خفية وظاهرة باطنية وخارجية ، تحاول كتم انفاسنا وتشويه حياتنا ؟ فاين الادب الذي يعبر عن هذه المواقف ويعيش هذه الحياة ؟

جواب الدكتور اسحق موسى الحسيني (نزيل بيروت)

لا أردي ما يُقصد بالسؤال . فان كان المقصود : هل يصور أدبنا حياتنا ؟ فالجواب : نعم ، لأنه أدب قلق مضطرب تتجاذبه تيارات مختلفة ، وحياتنا كذلك ، وإن رآها أفراد مستقرة كالجبال الراسيات .

وإن كان المقصود : هل يدخل أدبنا معركة الحياة فيتغلغل الأديب في المجتمع ويرى ويسمع ويحس ثم يغزل مادته من أحاسيسه ؟ فالجواب : بقدر ما يعيش الاديب عيشة واسعة عميقة ينبض أدبه بالحياة ويكمل وينضج ، على أن لا يدخل المعركة مقيداً بالسلاسل . والموهبة الادبية – إن وجدت – تعرف كيف تشق طريقها في الحياة ، وأين تجد المرعى الخصب . وليست جميع المواهب متشابهة حتى يزج بها في درب واحد . والحكم بعد هذا على الأدب العبقري لا على بواعثه ودواعيه . وهل من الضروري ان نسأل عن أم كل عبقري من هي وكيف ولدت ؟

جواب الأستاذ عدنان الراوي (نزيل القاهرة)

ما من شك في أن (أدبنا) يتمثل في هذه الأكداس من الكتب التي تخرجها المطابع ، وهذه اللفافات الضخمة من الصحف والمجلات (الأدبية) اسبوعية وشهرية .. وما يتردد من كلام في الندوات (الأدبية) .. هذه كلها هي (أدبنا) .. فهل هي منسجمة مع حياتنا المتطلعة نحو الغد البشري المرتقب .. ومع حياتنا المختنقة حالياً في زحمة الصراع العالمي ؟.. و(كلية) أدبنا في الهيكل العام تشير الى ان ادبنا متخلف تمام التخلف عن حياتنا ، لأن عدداً قليلاً من الادباء يعيشون حياتنا لا يمكن أن يعتبروا (رقماً) عاماً .. في الوقت الذي تزخر فيه أوطاننا بعدد هائل من الادباء (الانهزاميين) الذين لم يعرفوا الى الآن ما هي حياتنا .. وما هي اهدافنا .. او هم (على الأقل) لا يريدون ان يعرفوا حياتنا وأهدافنا .. وفي يقيني أن الشعب العربي يعيش حياته بتحفز وتطلعها أكثر من رهط الادباء مع ان الحقيقة التاريخية تفرض ان يتقدم الادباء صفوف الشعب في وعي الحياة ، والحياة العربية ليست راكدة ولا هي منهزمة مع أن كثيرين .. بل الأكثرية .. من الادباء يعيشون في ركود شامل وانهزامية مطلقة .. اني اعطي نفسي كل الحق في أن أقول ان ادبنا (بصورة عامة) في واد وحياتنا في واد .. اما اولئك الابطال من الادباء الذين يفتحون طريق حياتنا نحو المستقبل المنشود فهم ضائعون في هذا المهرجان الانهزامي المتقهقر في حياتنا الادبية ، او في ادبنا الحياتي ...

جواب الآنسة روز غريب (لبنان)

قبل الاجابة على هذا السؤال أود ان اتساءل: أمن الضروري ان يعيش ادبنا حياتنا ؟

إن الادب – كسواه من الفنون – لا يتقيد بشيء الا بأن يكون فناً . فليس من شروطه ان يكون ادباً قد عاشه صاحبه واختبر حقائقه اختباراً واقعياً . لكن ميزة الادب انه لا يستطيع ان ينفلت من الحياة بل ان صاحبه مضطر الى تمثيلها برغمه او بارادته لان ادبه نتاج شخصيته وشخصيته وليدة الوراثة والبيئة والعصر . ومهما أمعن في الخيال ونفر من الواقع لا يمكنه ان يستمد خياله من لا شيء او ان يقطع صلته بالواقع .

إن الادب المسمى واقعياً لايعد مفقوداً او قليلاً في النتاج العربي الحديث. نجده في الاقاصيص الكثيرة والمسرحيات القليلة وفي مجموعات الابحاث الاجتماعية والمقالات ونحوها مما نشرته وتنشره المجلات والصحف الكبرى .

قد لا يكون هذا الادب الواقعي دقيق التصوير للواقع او صادقاً في كل الاحوال . لكنه بلا شك مستمد منه .

على أن ادبنا من واقعي وسواه يتعرض لتهمتين : اولاً محدوديته اي تمثيله لناحية من واقعنا دون غيرها . ثانياً تسخيره لأغراض ودعايات شخصية او حزبية او سياسية . فهو في الحالتين ادب مقيد قصير المدى .

الادب الهزيل المحدود والادب المسخر ، وُجدا في كل عصر وزمان. منذ العصر الجاهلي الذي كان ضيق الافق لانه كان يدور حول الذات والقبيلة وينحصر في وصف مغامرات الشاعر ومشاعره او في الفخر بقبيلته والدفاع عن حرماتها .

إن ادبنا لم يتخلص بعد من تأثير الجاهلية ، بل هو لا يسلم من تأثير القرن الرابع الهجري وما بعده . تلك الفترة التي اصبح فيها الادب لفظاً انيقاً عذب الرنة لكنه ينطوي على معان تقليدية او سطحية ويسيغ التصنع والغلو .

وعلى نقيض ادب اللفظ ، نجد الادب الذي يدين اصحابه بالنزعة الالتزامية الحديثة التي تفرض نقل الواقع وطرق موضوع بعينه . موضوع التزامي يراد به بث الوعي والافكار الاصلاحية. لكن الموضوع والالتزام وحدهما لا يصنعان الادب ، كما ان اللفظ والاسلوب الانيق بدون فكرة صحيحة طريقة لا يصنعان ادباً .

ليس الأدب الواقعي نقلاً للواقع. بل رؤيته من خلال عين فنان مرهف الشعور . وليس من شروطه ان يصور القبح والبؤس . ذلك يتوقف على ميل صاحبه ونوع البيئة التي يعيش فيها او يميل الى تصويرها . كما يتوقف على شخصيته وطبيعته الخاصة . فهناك ادباء يصورون القبح بطريقة مضحكة هزيلة ، والبؤس والتشرد بشكل مرح ، فيلبسون الجو القاتم ثوباً من الاشواق والبهجه ، بينما يميل غيرهم الى الفواجع فلا تعرف النكتة والسخر الى ادبهم سبيلاً .

لكننا اذا نظرنا الى ادبنا نظرة اجمالية فوجدنا انه يصور شطراً من حياتنا متغاضياً عن الشطر الآخر ، حكمنا بأنه يشكو النقص والتقصير .

ولأعط مثلاً : هل نجد في ادبنا ما يكشف الستار عن علاقاتنا مع الاجانب وما يداخلها من زيف ورياء؟ هل عندنا ادب بطولي يزين المغامرة والجرأة والتسامي ؟ وادب ثوري يحمل في تضاعيفه استنكاراً وتمرداً على الواقع الحقير وسعياً نحو عالم افضل ؟ هل هناك ادب يدعو الى استنكار الزعامات الكاذبة المفروضة علينا ، ويكافح الجبن والمسايرة والملق والتخاذل وسائر ما يرموننا به من خصائص اصبحت مرادفة للشرق والشرقيين ؟

مثل هذه المواضيع التي استنفدها ادب الغرب وتجاوزها الى الفلسفة العصرية ، لا تزال عندنا مهملة، كأنها ليست من صميم حياتنا . ولكن اين نجد ادباً من هذا النوع؟ فلا مسرح عندنا ولا محاولات في البحث الاجتماعي الذي يتبع اصولاً علمية . وصحافتنا مقيدة او مأجورة . والقصة التي هي ارحب الفنون الادبية مجالاً لتصوير الحياة وبث الافكار ، ما تزال عندنا محاولات تقتصر على الاقصوصة . اما القصة الطويلة فنادرة والشعر تجدد اسلوباً لكن الكثير من مواضيعه تقليدي . وان جدد في الموضوع فمجاله كمجال الاقصوصة : لمحات عابرة واشارات عاجزة عن التبسط والتحليل .

كل هذا يرينا ان معركة التجديد ما تزال عندنا في بدئهـا وان مجال العمل امام ادبائنا واسع رحيب فليست مشكلتهم كمشكلة ادباء الغرب وفنانيه، الذين يجدون نفوسهم في بيئة مملولة يسير تطورها قفزاً فلا يدرون اي ادب يستطيع ان يرضيها ولا اي آفاق تستهويها .

جواب الاستاذ محمد روحي فيصل (سوريا)

الحياة مادة الأدب . هذا – فيما أعتقد – من الحقائق الاولية التي لا تحتاج الى دليل . ولكن (الحياة) التي يصنع الادب من خيوطها نسيجه ، ما مظهرها على الضبط ؟ هذا هو السؤال الذي تلقاه تحت الاقلام ثم لا تلقى الجواب الواحد عليه .

أحسب ان دعاة الالتزام عندنا إنما يعنون بحياة الادب – على الجملة – حياة الجماعة العربية في نضالها الحاضر الى ما يليق بكرامة الانسانية . وادبنا – من هذه الزاوية من النظر – لا يعيش حياتنا كاملة او قل يعيشها الى حد ما .. والقوميون العرب لا يرضون بهذا ، فهم يتزيدون من ادب الكفاح سيما في الظروف الراهنة التي تتحيف الامة العربية . والادباء جنود الطليعة ، او هم حملة المشعل ينيرون السبيل للآخرين ، والمعركة محتدمة ، والجبهة متسعة ، والعدو اكثر من واحد ، والقضية قضية موت او حياة – ولا منطق غير هذا .

وهو منطق مقبول ومعقول على اساس من وظيفة الادب الاجتماعية . ولكن أدب القوة له شروط لا بد منها وهو ان تكون قضية الامـة في دم الاديب وروحه ، موصولة الحياة بمصيره ، لا معنى لوجوده إن لم يكن لها عنده كل الوجود .

أترى مثل هذا الاديب حقيقة واقعة ام هو في طريق التكوين ؟ ان في بعض ما نقرأ من قصص وشعر ما ينهض بالجواب الصحيح وهو ان حياتنا غير مبسوطة في ادبنا على نحو عميق .

جواب الاستاذ سلامه موسى (مصر)

قبل اكثر من عشرين سنة ، أو في ١٩٣٤ ، الفت كتابـاً بعنوان « التجديد في الادب الانكليزي الحديث » اخرجته مطبعة المجلة الجديـدة بالقاهرة. وقلت في السطور الاولى من المقدمة هذه الكلمات :

« هذا الكتاب هو عرض ونقد للأدب الانجليزي في السنين الاربعين الماضية . ففي هذه المدة ظهر أدباء ثائرون على التقاليد ومجددون للأدب . وقد حاولت ان ابين للقارىء العربي المغزى في هذا التجديد . وعندي أن التجديد في الأدب هذه الايام لا يعني شيئاً آخر سوى التجديـد في الحياة ... فان الاديب الانجليزي يتصل بالحياة ... وينتقد أسلوب العيش اكثر مما ينتقد أسلوب الكتابة ،.. » الخ

هذا بعض ما كتبت قبل ٢١ سنة وقد أعيد طبع هذا الكتاب بالمطبعة العصرية بالقاهرة قبل أربع سنوات تحت اسم «الادب الانجليزي الحديث». وقد حذفت كلمة « تجديد » لأنها فقدت معناها اذ اصبح الجديد قديماً .

لذلك استغربت عندما كتبت كلمة موجزة في « اخبار اليوم » في هذا المعنى اذ حمل علي بعض الكتاب من دعاة الأدب العربي القديم ، او دعـاة الادب للترف الذهني ، أو دعاة الفن للفن .

وليس أدل على تأخر الأدب في الاقطار العربية من أننا ما زلنا نحتاج الى أن نقول ان الأدب للحياة يجب ان يتزوجها ويحيى في المجتمع والا فهو زان طريد .

ليس للأدب وجود خاص مستقل عن الحياة البشرية . فكيف يمكن الا يكون للحياة ؟

والأديب عضو في المجتمع يكافح لتحقيق الحريات ، واستقلال الشعوب ، وارتفاع المرأة من الانثوية الى الانسانية ، والديمقراطية الأقتصادية ، كما يكافح الغيبيات التي تذل الانسان وتجعله يرضى بالجهل والخضوع .

والأديب الحق هو الذي يدعو الى الحب وحق الشباب في الاستمتاع به دون الخضوع للتقاليد المظلمة التي تطالبنا بالا نستجيب لنداء الحياة والصحة والشرف بكلمة « نعم » .

وليست هناك قيم اجتماعية دائمة . ومن الغرور أن نعتقد الدوام فيما عندنا من أخلاق . ولذلك يجب على الاديب ان يجدد في الاخلاق ، يلغي السيء ويبتكر الحسن . وفي ظروفنا الحاضرة اعتقد ان اكبر مشاكلنا التي يجب على الاديب ان يبحثها هي :

١ – المساواة التامة في الحقوق بين الجنسين .

٢ – الضرورة الملحة في الاعتراف بحق الشبان والفتيات في الحب قبل الزواج . والا يكون هناك زواج الا عن حب .

٣ – مكافحة الغيبيات بالوانها المختلفة .

٤ – مكافحة الاستعمار والاستغلال .

٥ – ايجاد مجتمع علمي ينشأ على الانتاج العلمي ويستنير بثقافة علمية .

وأخيراً أقول لا يمكن ان ينهض الادب الا اذا كان الادباء انفسهم ناهضين . وهنا بؤرة الخلاف بين المجددين (الناهضين) وبين التقليديين (القاعدين) .

جواب الدكتور عمر النص (سوريا)

هل يعيش أدبنا حياتنا وهل تعيش حياتنا ادبنا؟ وجهان لمشكلة واحدة هي مشكلة انفصال الادب عن الحياة في مجتمعنا وفي كل مجتمع ما يزال في دور التكون . ولعلني لا أسرف أو ابالغ إذا زعمت ان هذا الانفصال يكاد يكون طبيعياً ، وأن كل محاولة لانكاره إنكار لهذه المرحلة التاريخية القلقة التي يجتازها الكيان العربي .

ولئن كانت الحرب العالمية الأولى نقطة انطلاق الحركة القومية والتحرر السياسي إلا أن الحرب الثانية كانت بدء تطور أساسي عميق في كياننـا الاجتماعي والاقتصادي. فقد دخلت الشعوب العربية مرحلة حاسمة من مراحل تطورها الجذري زلزلت أطر حياتنا الذهنية والاجتماعية ونقلت الصراع من نطاق السلبية السياسية إلى نطاق التجديد العقلي والتسوية الاجتماعية والانماء الاقتصادي المثمر .

وكان من أثر ذلك أن انقطعت الصلة بين الماضي والحاضر وبدأت القيم القديمة في الانهيار تحت معول الفكر النقاد والنقمة على الاوضاع القائمـة والرغبة في انتهاج سياسة إيجابية بناءة .

وبديهي ان هذا الوضع قد يطول وقد يقصر ، وان الوصول الى شبه استقرار في هذه الناحية قد يستغرق عدة اجيال . وطبيعي ان يرافق هذه المرحلة اضطراب في القيم وميوعة في المفاهيم وان تكون الحياة التي يراد للادب ان يعيشها غامضة اشد الغموض. بعيدة كل البعد عن القدرة عـلى الاخذ والعطاء .

وقد جاءتنا في الآونة الاخيرة دعوات جديدة تدعو الى الالتزام والادب الاجتماعي فأساءت بقدر ما احسنت: حتى بتنا نخاف ان يضيع الادب الحق بين ادب يزوق الحياة ويدعي الجمالية وادب يزيف الحياة ويدعي الالتزام. وقد رأينا بعض الكتاب الذاتيين ينصرفون إلى الادب الملتزم لا لانهـم يتجاوبون مع الاشياء التي يكتبون عنها ولكن لهذا الضغط المعنوي الذي

تمارسه هذه الدعوة والذي يغري الكتاب بالانسياق معها .

زد على ذلك ان الحياة السياسية في العالم العربي ما تزال تعيش على هامش الغليان الفكري الذي يضطرب فيه الفرد العربي ، وان القيود التي تفرضها السلطة على الادب والفكر ما تزال ترهق الكاتب وتضع امامه الكثير من العقبات المادية والمعنوية التي تحول دون وصوله إلى تعبير دقيق صحيح عما يريد .

وإذا كنا نؤمن بمسؤولية الظروف والواقع العربي عن هذا الانفصال بين الأدب والحياة فاننا لا نعفي الكاتب العربي من نقائص تتصل به ككاتب . فالاديب العربي – ولا أعمم – لا يدرك فداحة العبء الملقى على عاتقه ولا يؤمن بدوره الفعال في تطوير أمته وإعطائها المثل والقيم التي تفتش عنها ، وهو الى ذلك محدود الافق تنقصه الثقافة الواسعة الملونة التي تتيح له ان يشارك في احداث زمانه وأن يعيش عصره ويتجاوب مع التيارات الفكرية والاجتماعية التي يضطرب فيها العالم اليوم .

وما أدري أأستطيع بعد ذلك ان أزعم ان الانسان العربي كما يجب ان يكون لم يوجد بعد في ادبنا الحديث وان العربي برغم فرديته في الحكم والسياسة ما يزال يعيش بحس القطيع في الادب والفن !

جواب الاستاذ ميخائيل نعيمه (لبنان)

قبل ان تكون لنا القصة والرواية بمعناهما الحديث كانت الهوة سحيقة ما بين أدبنا وحياتنا ، وعلى الاخص في عصور الانحطاط الطويلة . أما وقد أقبل كتابنا في الزمان الاخير على القصة والرواية بحماسة ونهم ، وراحوا يتغلغلون في جميع نواحي حياتنا ، فقد بات من حقنا ان نرتقب يوماً تنسد فيه تلك الهوة . وعندئذ نبصر في أدبنا ملامح حياتنا واضحة وغير مشوهة.

والذي ارجوه لادبائنا – شبابهم وشيبهم – هو أن يعيشوا ادبهم اولاً فمن لا يعيش أدبه لن تعيش امته في أدبه .

جواب الاستاذ خليل الهنداوي (سوريا)

أريد ان ارجع بالسؤال الى الوراء..فأتساءل : هل نحن نعيش حياتنا؟

فاذا جعلنا هذا السؤال مبدأ الانطلاق استطعنا أن نضع النقاط على الحروف في مسألة أدبنا .

ان الكثير منا من لا يعيش حياته ، والبراهين على ذلك صارخة في كل مذهب من مذاهبنا ، وفي كل سياسة من سياستنا ، وهذا ما يجعل مجتمعنا كاذباً ، لان الابطال الذين يمثلون على مسرحه اي دور هم كاذبون . فمن منا يؤمن ظاهره بباطنه ؟ ومن منا يوافق قلبه على ما يردده لسانه ؟ واذا كان هذا حال مجتمعنا الكاذب فمن الظلم ان نطلب الى الادب غير ذلك ، باعتبار أن الادب الحي لا يجعل مورده الا المجتمع .

لا شك عندي أن من صفات الادب الخالد الذي يحترم نفسه أن يمثل الحياة.. هذا مذهب طبيعي حتى عندما يكون الاديب سابقاً لزمانه بعبقريته. وهل يستطيع اديب ان يسبق حياة زمانه الا بعد أن يتحسس حياة هذا الزمان ، وينقم على ما فيه من دناءات ، وحقارات ، فيقلع عنها إما إقلاع الزاهد ، اليائس ، المنفرد ، ليبني عالماً خاصاً نقياً لنفسه ، وإما إقلاع الناقم ، الذي امتلأ قلبه بالثورة والتمرد على مهازل عصره، فيحاول بتمرده ان يبني الحياة الفضلى ، والمجتمع الافضل . وهو في الحالتين ، روح بصيرة تحاول ان تصل الى النافذة التي يشرق منها النور ...

أما ادبنا السابق فقد غلب عليه الانقطاع عن الحياة ، لانه كان ابن مجتمعات خاصة تقطعه عن كل مجتمع . وهو ، مع ذلك ، لم يخل من بعض شرارات صادقات كانت تمس المجتمع ، يحيا اصحابها معها أمناء للحياة التي يحيونها . ولكن ذلك قليل ، إن لم يكن أقل من قليل .

ولم تتسع نظرة الادب الى الحياة الا في العصر الحاضر ، حين جعل « الشعب » موضوعه . والحياة الواقعية غايته ... فالى اي حد ، يا ترى ، وصلنا من هذه الرسالة ؟

أنا لا أنكر ان ادبنا العصري قام بقسط واف في الناحية القومية والسياسية بالرغم من النظرات الرجعية . اما في الناحية الاجتماعية فأدبنا لا يزال كاذباً ، أو بالاحرى – لا يزال جباناً. فمنه ما لا يزال يتعلق بجذور الماضي ، وظلام التقاليد، لا يجرؤ على ان يقطع عقدة واحدة من تلك العقد الموروثة ، خشية نقمة المجتمع عليه ... واذا جرؤ ادب منه على ذلك قامت قيامة المتحمسين قبل قيامة الرجعيين عليه ... فهل هذا صدق واخلاص للرسالة ؟ على ان بعض ادبائنا في نهاية القرن السابق كانوا اجرأ من هؤلاء الاقزام الذين يصح فيهم قول المتنبي :

واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وأما ادبنا الحالي – وهنا العلة – فمنه ما لا يزال يحيا حياة سابقة ، بالية ليس لها اي اتصال بالحاضر ، أو المستقبل . ومنه ما يحاول ان يدخل في حياتنا الحالية، فلا يدخلها صريحاً، جريئاً ، وانما يدخلها مراوغاً،مداوراً.. كأنه يرجو شيئاً ، ويخشى ما يرجوه في وقت واحد .

وأذكر مرة انني الفت مسرحية « مدينة الجياع » اصور بها ناحية واقعية من حياتنا . ولكني لم انشرها ، بينما كنت أنشر من المقالات الادبية والفنية ما لا صلة له بالحياة .. ولم يكن يعيقني عن نشرها الا شيء واحد – اعترف به آسفاً – هو الجبن ... والشك ... ولكن هذا الجبن ليس بدائي وحدي ... فالجبن داء كل اديب، والشك في قوتنا علة كل ادبنا ... والفرق بين جبني وجبنهم انني اعترف به..وهم يحاولون ستره عن العيون.. والادعاء بأنهم حماة المجتمع، وهم لا يقدرون ان يحملوا اي مشرط صغير ، يفتحون به احقر دمل نتن في جسد هذا المجتمع ...

أجل ، إن ادبنا كاذب ، وإن ادباءنا جبناء في تصوير الحقيقة بصدق..

ومنا من يتصل بالنفس الانسانية عن غير طريق حياتنا .. ولا ادري كيف يصدق أي شعور في هذه الناحية اذا كان لا يجعل بدء الاحساس من نفسه ؟ فكيف نبحث عن السلم والانسانية المضطهدة والعدالة الاجتماعية في سهول كوريا ، وسهوب الصين ، ونحن شهداء هذا الاضطهاد ، وضحايا هذا المجتمع الملتوي بنظمه وتقاليده .

ان في مجتمعنا الحاضر من المآسي ما تتصاغر لإزاءه كل مأساة ، ولكن

سعيد فياض

عبـــير

ديوان شعري يسمو الى ذروة الفن
وينتزع النغم الحلو من أجواء الابداع

في جميع المكتبات العربية

اين العيون الصافية التي ترى ، والقلوب الجريئة التي تؤمن ؟

ولعل – هناك – داء آخر لادبنا وأديبنا – هو الازدواجية في الشخصية والشعور. ولكن هذه الازدواجية عندي لا اسميها الا ضرباً من «الفانتيزي» في الآلام . فأنا اشكر عادة من يواسيني في ألمي ، ولكني لا اعتـده رقيقاً انسانياً الا حين يشاركني في هذا الالم ، ويندفع معي في الثورة على الألم ... وماذا عسى يفيد المتألم رجل ناعم في عيشته ، يشفق، ولا يشترك. يقنع بمسح دموعي ، ولا يعمل على إزالة اسبابها ...

كل ادب رسالة ، وكل اديب رسول. فهل جاء اليوم الذي نؤمن فيه بهذه الرسالة ، ونكافح من اجل هذه الرسالة ؟

جواب الدكتور عبد الحميد يونس (مصر)

« هل يعيش ادبنا حياتنا ؟ » .. إنه سؤال أعيش فيه وأعيش له ، بل يعيش فيه ويعيش له اكثر الادباء المبدعين والنقاد عندنا وعند غيرنا، وتتركز حوله معظم الجهود التي تنزع الى تحقيق شخصية الفرد وشخصية الجماعة عن طريق الكلمة .. وتقوم عليه جميع الدراسات الواعيـة المستشفة للنصوص الادبية ، والراغبة في اعطائها القيمة التي تستحقها في الحياة الانسانية .

ومن اجل ذلك كانت الاجابة على مثل هذا السؤال في نطاق الاستفتاء الموجز عسيرة غاية العسر ، لانه يتطلب اولاً وقبل كل شيء ، التحديد .. فالرأي العام المتذوق للجمال في مصر والشرق العربي ، لم يعرف بعد وسائل التربية الجمالية الصحيحة التي تتيح له ان يميز بين ما هو فن خالص وما هو صناعة منحولة على الفن وما هو خليط من الفنية ومن عناصر اخرى تشوب مزاجه وتكدر صفحته .

وهذه التربية الجمالية هي الدعامة الاولى في تصويب حياتنا الانسانية ، وافتقارنا اليها وعدم احتفالنا بها يجعلنا غافلين عن انفسنا وعن بيئتنا الخاصة، ناهيك بغفلتنا عن مكاننا من الحياة ومن التاريخ .. ومن هنا ترانا مذبذبين دائماً – لا في مسائل الفن وحدها – بين تيارات تتجاذبنا ناحية الشرق او ناحية الغرب ، ناحية اليمين او ناحية اليسار .. وترانا لا نعيش تاريخنا ... فنحن نكتب بالارقام ، اليوم والشهر والسنة ، بالنسبة الى تقاويم مختلفة .. واختلافها في رقم السنين وفي أسماء الشهور، يدل وحده على ذبذبة خطيرة في حياتنا ، لانها لا تعرف نقطة البداية في هذه الحياة ، ولان هـذه النقطة ترسب في أنفسنا تراثاً معيناً ، فكيف بأكثر من تراث ! .. ولا تظن انني ابالغ ، فان الشهور السريانية يجهلها معظم المصريين ويحتاجون الى من يترجمها لهم .. فاذا أضفت حقيقتين أخريين خطيرتين ، هما اننـا متخلفون عن موكب الحضارة اشواطاً ، واننا لا نزال نعيش بعقل زراعي مستسلم ينتظر التغير في نفسه وفيمن حوله وما حوله ، من عوامل خارج ذاته ، واننا نجتر جانباً يسيراً من تجاربنا الماضية ، ليس هو اجد ما قنا بـه ولا أعظم ما كافحنا في سبيله ، بل لعله قد فرض علينا هو الآخر من قوم اجانب عنا ، قدموه الينا لنظل في مكان التبعية لهم .. اذا ادركت ذلك ، عرفت اي زاد إيديولوجي نعيش عليه ونصوغ منه وجودنا العام والخاص على السواء .

يجب اولاً ان نعيش حياتنا كأكمل ما يستطيع الفرد في هذا العصر .. وليست الحياة قلباً عضوياً ينبض او أنفاساً محسوسة تتردد أو حركة محدودة في المكان ، فان مثل هذه الحياة ، يشترك فيها الموجود والكائن ويساهم بها النبات المتشبث بالتربة والحيوان الاعجم الذي تحركه غرائزه وظروفـه الخارجة عنه .. اما الحياة التي ينبغي ان نعيشها ، فهي حيـاة الانسان في النصف الثاني من القرن العشرين بالتقويم الذي اصطلحت عليه الامم الصناعية التي غلبتنا على امرنا .. انها الحياة الانسانية التي تستوعب تجاريب الوجود ملايين الملايين من السنين والتي تستشرف ابداً إلى تحسين وجودها وتجميل محيطها والتي تكافح في سبيل غد افضل من يومها في التقويم ... انها الحياة التي تستكمل شعورها بذاتها في انفرادها وفي تجمعها والتي تعي انسانيتها في نفسها وفيمن حولها والتي تدرك جلال مسئولياتها تبعاً لذلك نحو افرادها وجماعاتها .. وهي المسئوليات التي حملتها اياها انسانيتها اولا ، وتاريخهـا الحضري ثانياً .

فاذا استطعنا ان نعيش حياتنا حقيقة ، كان من اليسير علينا ان نعيش فننا ، لأننا بذلك نتأهل لتحقيق هذه الحياة في الموسيقى وفي الادب وفي التمثيل وفي الرسم والنحت وفي كل وبكل وسيلة يتوسل بها الانسان الشاعر المفكر المتحضر ، ان يحقق شخصيته كاملة ..

اما الظواهر الأخرى التي تتصل بفهمنا للأدب وتصنيفه وتمييز انواعه والحكم عليه، او تصويب اللغة وتأكيد ارتباطها بالمجتمع الحي وايثار الاستعمال على القياس ، فكل اولئك في المحـل الثاني بعد ما قدمنا ، وهي مشكلات فرعية هينة تحل نفسها بنفسها اذا عشنا حرياتنا كما ينبغي ان نعيشها .

وهكذا ترى ايها الصديق ان السؤال صعب عسير وانه يتعلق بصميم وجودنا وان المحاولات التي بذلت وتبذل لتحقيق حياتنا بوساطة الادب ، لا تزال تعاني تعثراً وترتطم بعقبات . فالشعر في قوالبه وفي موسيقاه ، وفي مضمونه ، مشدود الى ذلك الجانب الاقطاعي الرسمي من تراثنا . والدرامة لا يمكن ان تعكس نفوسنا ونحن لا نزال غافلين عن صراع الفرد مع ذاته ومع من حوله ، بل ومع القوى التي تتجاذبه دون ان يراها..والقصة ستظل ابداً مذبذبة لأنها منقطعة الصلة بتراثها الملحمي والاسطوري .. مع اننا لو كنا نقدر ذواتنا ونعي حياتنا ، لاعتززنا بتراثنا الصحيح ولتخلصنا من ذلك التراث الزائف الذي فرض علينا .. ولأصبح هذا الـتراث هو الأساس الذي تتألف منه تقاليدنا الادبية ، واعني به تراثنا القومي الشعبي الذي يضم في اعطافه اساطيرنا وملاحمنا واغانينا وايامنا ومشاهدنا وفلسفتنا المبرأة من التزوير والتزويق .. انه زادنا نسينا بعضه وانتهب الغرب بعضه الآخر ، فعاش عليه وتركنا نحن نتقوت من بضائعه التي يصدرها الينا ، مع الفتات الذي بقي من موائد الاقطاعيين ومن عاشوا على مدحهم ورثائهم وتطفلوا على قصورهم وضياعهم .

صدر حديثاً

عبيد الجبار

للدكتور جورج حنا

رواية اجتماعية إنسانية

دار العلم للملايين